

نست وحنيداً

فادي يوسف

" N O T A L O N E "

مجموعة خواطر نثرية |

لستُ وحيدًا

فادي يوسف

مقدمة:

يمكنك تداول ما يناسب شعورك
حقوق النشر لم تكن يومًا محفوظة
ولن تكون.

الإهداء:

إلى ساعي البريد الذي لم تُكتب له رسالة بعد
أهديك حروفي هذه
وأقول: أنت لست وحيدًا.

تصميم وتنسيق: جورج مخائيل

تدقيق لغوي: لينة فران

لَأَنّ حَلَمَكَ يَسْتَحِقُّ وَلَا يُغَادِرُ، اَبِقْ مَعَهُ.

مطر

مطرٌ

طمرَ عيني قبل أن أنام
عطرٍ وحدثي برائحتكِ القديمة
بَلِّها بماء الورد والليمون
ثم أضفَ كوبًا من العناق
وغاب

مطرٌ

رَطَمَ قلبي صدفة
دون أيِّ أضرارٍ تُذكر
أخذني بعيدًا نحو الغياب
وغاب

أنا والمطر وأنت
وحادثٌ مُفتعلٌ
دون أيِّ أضرار تُذْكر
إنَّهُ ضررٌ بسيطٌ جدًّا
كقلبي مثلاً.

أخاف

أخاف أن تختلج عقارب الساعة
ويصاب الزّمن بحادثٍ مروريّ

أخافُ أن تُسرَقَ المراكزِ الهاتفيةِ
ويضيعُ معها رقمكِ الهاتفيّ

أخافُ أن تُغلقَ المقاهي الحزينة
وأن يُباعَ مجلسنا الأثريّ

أخافُ أن أصابَ بأرقٍ ليليّ
وأشتاقُ لحلمٍ أنتِ فيه السيناريو الوحيد

أخافُ أن أنسى في سريرٍ عاطفيّ
فيه أنا وأنتِ
وطيفٌ يعكّرُ نومي الخفيّ.

منذ عام

منذ عام
لم أكنُ معكِ
في علاقة حميمة

منذُ عام
كانت القصائد
تنام
دونَ أرقٍ ونميمة

منذُ عام
كانتُ الورودُ تشرقُ
دون ماء
وحرّية
أمّا اليوم
فصارتُ الورودُ
تذبلُ
بعد غيابكِ
يا صغيرة

منذُ عام
كنتُ أمشي دون خوفٍ
وحرقةٍ من عيون الحبيبة
واليوم
أنا هنا
في شارعٍ منسيٍّ
لا المارة أتوا
ولا العصافير غرّدتُ
أنا هنا
أنا والحبيبة
نبكي
نبكي
بدموعٍ سوّية.

عاصفة وأنا الوحيد

وجهك عاصفةٌ قويّةٌ جدًّا
وأنا النّاجي الوحيد
وعيناك بحرٌّ من الغرق
وأنا السّباح الوحيد
ضحكتك مازالت مُختبئة
وحدها لم تنجُ من العاصفة
تري، ألسّت أنا السّباح
والنّاجي الوحيد!
إذا بالمناسبة
أنا هو المُنقذُ الوحيد
سأخاطر وأقاتل
سأحارب وأدخل عمق الحرب
لأسرق لك ضحكةً

العدوّ يحاصرني من الأربَع جهات
والعاصفة مُندلعة
وأنا المحارب الوحيد
الرّصاصة الأولى في صدري
والثّانية في وجهي
والثّالثة في ظهري
رائع!
بَقَيْتُ ضحكتي سليمة
فلأقدّمها لعينيكِ
كهدية.

وعدي الأخير لك

وعدي الأخير لك

كما الأول

وعدي الأخير لك

أن أبقى أثيرًا في حبك

أن أبقى الغبيّ الوحيد

من بين جميع الذين

رحلوا عنك

وأن أبقى أثيرًا في حبك

وعدي الأخير لك

كما الأول

ألا أنام

قبل أن أكتب إليك

وأن أسبق النجوم

والأحق طيفك.

وعدي الأخير لكِ

أن أنسى الكثير

ولا أنساكِ

وعدي الأخير لكِ

ساذجٌ ولطيفٌ

وغبيّ

أن أكتبكِ في رواية

أو مسلسل تلفزيونيّ

قلتها مرارًا وأعيدها:

وعدي الأخير لكِ

ساذجٌ

وأبديّ

ووفيّ.

متى سنفترق؟

وكيف أخبرك بأنَّ حروفي

في غيابك مُنتشيه!

تشتهيك علناً تحت

اسم الجنس

وبالطبع، ثقتي بكِ

لن تُخان

من أنا يا صغيرتي؟

لربّما علمتِ جيّداً بأنّي

لا شيء سوى لقمة سائغة

خلفَ قضبان اللّيل

ينهشني يومياً على مهلٍ

على مهلٍ

أنا وسجائري
وقلمٌ مُتعب
وأنتِ
أرأيتِ كم أنا محظوظ!

ما من شيء ينقصني في غيابك
لا اللّيل ينهشُ من جسدي قطعاً
ولا وحدتي تسيءُ الظنَّ بي
أنا فقط
أعاني من وجودك الكثيف
إذا فمتي سنفترق؟

شَتَانُ مَنْ نَحْنُ

تُرى أَيِّ ذَنْبٍ اقْتَرَفْنَا
حَتَّى الْحَيَاةِ شَتَّتْنَا

تُرى أَيِّ جَرِيمَةٍ قَدْ ارْتَكَبْنَا
حَتَّى سَجَنُ الْحَيَاةِ احْتَوَانَا
وَأَلَامُنَا وَأَصْوَاتُنَا
وَبِحَّةٌ لَا مَفْرَّ مِنْهَا

آهَاتُنَا حَيَاتُنَا
آهَاتُنَا صَارَتْ حَيَاتُنَا
أَجْرَاسُ الْكِنَائِسِ لَنْ تُقَرَّعُ
صَدَى الْمَسَاجِدِ لَنْ يُسْمَعَ
فَآهَاتُنَا صَارَتْ حَيَاتُنَا
وَالْأَمَلُ صَارَ لَعِبَةَ الْأَطْفَالِ
وَلِغَزُّ
وَالْأَلَمُ صَارَ لَعِبَةَ الرِّجَالِ
وَمَلْجَأٌ

أما نحنُ
فشتان من نحنُ
قد وقعنا وسقطنا
هنا نحنُ
ما بين الرجال والأطفال
الأمل يضر بنا
والألم يعصف بنا
فشتان من نحنُ.

لستُ وحيداً

تلك الفتاة المجاورة لي في الباص
تفتحُ هاتفها، تقرأُ رسالة ما

وتبتسم

أغارُ منها، فأتفقُّ هاتفي

أبحثُ عن صورتكِ المختبئة

في زاويةٍ ما

وأبكي

عاملُ النظافة يعانقُ العاملة

سيارة الأجرة تحوّلت بالفعل

إلى ملهى غزليّ

شابان يجلسان على أريكة إحدى المقاهي

يشربان مشروباً عصرياً

أو لربّما ليس عصرياً بمعنى الكلمة

لكنّه يبدو غريباً عنيّ

فتاةٌ جميلةٌ تختبئُ في معطفِ حبيبها

أتساءل!

تري أيستطيعُ البردُ أن يؤذي

لمس العشاق!

يا ربّاه

الشارعُ مكتظُّ بالعشاق

وأنا أيضًا

لستُ وحيدًا

ولكن

تبًا لك يا معطفي القاسي.

دمشق

دمشقُ

ارمي عن جسدك غبارَ المعارك

ارميها في قلبي

لعله يصيرُ

متينًا مثل أسوارك تمامًا

دمشقُ

كثيرًا ما قالوا عنك: مدينة الياسمين

كثيرًا ما تغزّلوا بأضواء الليل في الأزقة

والشوارع وعتبات البيوت

أمّا اليوم

فالياسمين يلتقط آخر أنفاسه

والشوارع وحيدة؛ مثلي تمامًا

دمشقُ

كثيرًا ما خافوا من رهبة الاسم "دمشق"

كثيرًا ما كنتُ أحلمُ بزيارة دمشق

أما اليوم
فرجلٌ دمشقيٌّ استأجرَ في حيننا الشعبيّ
وقال: أنا لستُ من دمشق

دمشقُ
يا زهرةً غابَ فلاحها
فلم يسقها أحد
حتى المطر غاب
وسقط كأنه سارقٌ أتى
إلى بلادٍ ليسَ فيها حجر

دمشقُ
يا صديقتي الوحيدة
يا معبدًا لخيوط الشمس
يا صدى العشاق
يا صرخات النَّاي الحزينة
يا سيّدة النداء
يا عجوزًا لم تقتلهُ سكاكين الأصدقاء

يا دمشقُ، يا دمشقيّ!
ارمي عن جسدكِ غبار التعب
ارميها في قلبي ولا تخجلي
فأنا وأنتِ
كلانا كالمعارك.

افرحوا

افرحوا

فجارنا الفقيد

للتوّ قد عادَ للحياة

من جديد

قد ذهلَ جميعَ المحزونين

وعاد، فافرحوا

افرحوا

فموسيقى الغيتار اتّفقتْ

مع البيانو والمزمار

وشكّلوا فرقةً موسيقيّةً

كلاسيكيّة من أجلكم

فافرحوا

افرحوا

فحواس القلبِ لم تنطفئِ بعد

وسعادةُ النّجاحِ لم تختفِ بعد

فافرحوا، من أجل عزيمة بعد الفشل

افرحوا.

عِينَاكِ

عِينَاكِ

وحرّكات الرّموش

وخطواتُ

تُدْهِشُ القلوب

جسدك

وهيبة الوحوش

وصوتُ

يُرْعِبُ قادة الحروب

نظراتك

ورهبّة الجيوش

وصمتُ

يجعلُ من الشّروقِ

غروب.

رَسَمْتُ وَجْهَكَ

رَسَمْتُ وَجْهَكَ

بَرِيشَةً مِنْ ذَهَبٍ

وَعِنْدَ عَيْنَيْكَ

إِلْهَامِي قَدْ ذَهَبَ

رَحْتُ أَجُوبَ الْمَكَاتِبِ

بَاحِثًا عَنْ كُتُبِ

تُعَلِّمُ رَسْمَ عَيُونِ

حَبِيبَتِي وَالشُّهُبِ.

فلنفترق الآن

فلنفترق الآن

كفى لقاءً، كفى شقاء

فمن يدري كيف يعانقنا الانطواء؟

يا حبيبي، يا طيفاً مليئاً بالوفاء

يا غيابي

يا أرقى ومسكني وليلاً

مُفَعِّمًا بالكبرياء

فلنفترق الآن

بكي الصّخر عديم الحياء

صرخَ الطّفلُ كأنّه يعرف قبل أن يولد

بفراق أبويه:

"يا مرحبًا بالاستياء"

سقطتُ شجرةً التّوت في حديقتنا

جفّ النّهر

قُطِعَت الكهرياء

عطشتُ عقارب السّاعة
فذبلت وماتت

صمتتُ الموسيقا
وصرخَ النَّاي بكلِّ قواه:
فلنفترق الآن.

قصيدتي لم تُغتال

قصيدتي لم تُغتال
كما كتبتُ أوّلَ البارحة
بل هم فقط جرّدوها من ثيابها
وأعطوها قسطًا من الأعمال الشاقّة
فأنهكوا كرامتها وقتلوها
وكتبنا نحنُ على قبرها:
"هنا يرقدُ نبع الياسمين"

قصيدتي لم تُغتال
كما كتبتُ أوّلَ البارحة
بل هم احتاجوا لعصافيرها
فأخذوا شمسَ ربيعها
وأعطونا الخريف
والورق المتساقط
والقليل من البارود
والكثير من القبلات الشهية
على جثّة أخي الشهيد

قصيدي لم تُغتال
كما كتبتُ أولَ البارحة
بل هم فقط أخذوا مِنَّا
أولادنا، أقلامنا
وردات حديقتنا
أصواتُ أطفالنا
وجاري الشَّهيد

فلم تُغتال القصيدة أبدًا يا سادة
هم فقط ذوّبوا حروفها
لا لشيء
فقط على سبيل السّذاجة.

انثري

انثري رمادك على قلبي واستريحي
تُرى كيفَ للشوق يا صغيرتي أن يُدميني؟

ثوري، ثوري واكتبي لي قصيدة
فالحبُّ في زمنِ الأوغادِ مستحيلُ

تمرّدي، تمرّدي على واقعك الأليم
واضحكي

إنَّ ضحكةَ الملائكةِ يا حبيبتي
قضية نادرة

هواءُ مدينتنا

أزهارُ حديقتنا

ورائحتك أنتِ

مآذن بلدتنا

أجراسُ كنائسنا

والأغاني، والهواتف الذكيّة

واسمك أنتِ

قُبَلَتِي وَقَبِيلَتِي
ضَحَكِي وَسَعَادَتِي
قَلَمِي وَأَفْكَارِي
جَمِيعَهَا مِنْ أَجْلِكَ
يَا سَيِّدَتِي

انثري، وثوري
وتمرّدي
فالقبلةُ في خلوةِ العشاقِ
نثرٌ وقصيدة.

عناق ووسادة

كعناقٍ وليدَ الذِّكرة
كقُبلةٍ وليدةِ اللَّحظة
كلقاءِ سيِّدِ الهمسة
كنسمةٍ تُدْفِئُ اللَّذَّة
كأنا وأنتِ على سبيلِ الاختصار

أما عني يا سيِّدتي
سأسرقُ من الطَّبيعة
شجرة
نجلِسُ تحت ظلِّها
سرًّا
وأعانقُكِ بشدَّة

سأسرقُ من خديكِ قُبلة
أعيدها مرَّةً أخرى
يرقصُ قلبي
فأقطفُ من صدركِ وردة
أزرعها بشعركِ الياسميني
وأعانقُكِ بشدَّة

أراقصُ عينيكِ
وخصلات شعركِ
أعانقها هي الأخرى
فأسرقُ من حضنكِ
وسادة
وأنام.

هذا اللّيل

هذا اللّيل

أشمُّ رائحة غيابك

شهيّقًا دون زفير

حرصًا على ضياعك

هذا اللّيل

أعزفُ على الكمان وأغني

رغم أنّ صوتي

"نشاز"

كما يقول لي الظلام

وعزفي أيضًا شبيه بالتهريج

إلا أنّي أرى طيفك أمامي يضحك

فتفرحُ عصاةُ الكمان

هذا اللّيل

أنشدُ قصيدة قد كتبتها للتوّ

قافيتها عديمة الوزن

وحروفها كهذا القمر "وحيد"

إلا أنّي سعيدٌ جدًّا

لربّما لأني أتقنتُ إنهاء القصيدة

أو لربّما لأنّ اسمك في حروفي

له رونقٌ خاص

هذا اللّيل

أضحكُ بصوتٍ عالٍ

ينظرُ لي الجيران باستغراب

تمامًا مثلما تنظرُ الأغاني الحزينة

إلى الدّموعِ

هذا اللّيل يا سادة

لا القصيدة انتهت

ولم يهدني أحدهم آلة كمان

ولم أر طيفك بعد

أنا فقط لم أستطع أن أرى النّوم.

ما بعد غيابك

ما بعد غيابك؛ لم أتأثر أنا كثيرًا
يومها دُعيت إلى ندوة ثقافية
وبالفعل حضرتُ وألقيتُ القصائد
وللأسف حينها لم يصفق لي أحد!
جميعهم اتفقوا مع غيابك ولم يصفقوا لي
لكن لا بأس سبق وأخبرتكَ
بأنِّي لم أتأثر كثيرًا بغيابك
لكنَّ أثري الوحيد كان في الحضور
كانت أختي الصُغرى التي ماتت قبل أن تولد
وجدِّي الفقيد ومجموعة فتيات فاتنات
يُقال أنهنَّ جميعًا أشباهكِ الأربعين.

ما بعدَ الفراقِ

ما زلتُ أنا كما أنا
أنا مُ باكراً وأستيقظُ مُتأخراً
ما زلتُ أوذي جسدي بطريقةٍ أو بأخرى
السّاعة الآن تُقارب الرّابعة صباحاً
وعليّ الاستيقاظ باكراً
لأسقي زهرتي البنفسجيّة
التي كادت أن تذبل على غيابك
لكني اعتنيتُ بها فلم تفعل

ما بعد فراقك

ذهبَ أخي الأكبر إلى الحرب ولم يعد بعد
وقتل الحرب صديقي الوحيد عامر
أتذكره؟
ذلك الشاب الذي أهداكِ وردة عربوناً للقاءِ الأوّل لكم
لكنّه لم يكن لقاءكم الوحيد
لا، فالآن أنتم سويّاً
ليوفّقكم الله يا حبيبتَي.

ما بعد الفراق
لم يحدث أمرٌ مهمٌ لأحدّك عنه
لم تندلع الحرب
ولم يدعني أحدهم لندوةٍ ما
لكني خلقتُ أحاديث تافهة
فقط لأكتبَ لكِ على مبدأ:
الوداع مقابل الأرق
وغيابكِ الأكثر ظلامًا.

هذا الصّباح

هذا الصّباح
لم تلحظ قهوتي
غياب وجودك
أو وجود غيابك
فراعٌ يسكنني من الأربع جهات
فراعٌ، فراعٌ
واللّاشيء يداعبني، يضاجعني
يضاحكني ونبكي سويًا
هذا الصّباح، وأصواتٌ كثيرة
تصرخُ داخل رأسي
أطاردها، ألاكمها
وأخسرُ النزاع.

الحُبُّ

شعورٌ صغيرٌ يؤرِّق نوم الفتى

يُنسيه حليب الصِّباح

والمدرسة

يُنسيه وجبته المفضّلة

وحصص الرِّياضة

الحُبُّ

حيّزٌ لا بأسَ به يشغلُ قلب تلك الفتاة الصّغيرة

يشجّعها على الزّينة

ومداعبة خصلات الشّعر الوردية

أمام مرآتها الصّغيرة

الحُبِّ

أن أفقد شغف الكتابة

فأعود إلى الورق باحثًا عنك

لأكتبك

الحُبِّ يا صغيرتي

أن أهمس لك: أحبك

بلهجة الصّمت.

في غيابك

في غيابك

لم أكمل قصيدتي بعد
تركتُ بيتاً لكِ ولغيابكِ
علّه يغمرها بدموع التّائهين

في غيابك

صرتُ تماماً كحمامةٍ
ضيّعت سربَ الرّفاق
وأكملتُ وحدها الطّريق
في الحقيقة، عشتُ بقيّة حياتي وكأني أنا تلك الحمامة

في غيابك

لا أنفِ بأني قضيتُ اللّيل
وأنا اتمعنّ صورتك
يغازلكِ عقلي ويقول عنك
"هيبه"

استوقفه قلبي وقال:

لا، بل خيبة

في غيابك
كثيرًا ما صرختُ
وكثيرًا ما هربَ منِّي صدى الصّوت
لا بأس يا صغيرتي
لكنّه يُرهقني غيابك
مُرهقٌ جدًّا.

اللَّيْلُ وَأَنْتِ

اللَّيْلُ وَغَيْمَةٌ بِلا مَطَرٍ وَصَوْتُ الضُّجُرِ
وَصَمْتُ الصُّورِ ثُمَّ أَنَا وَأَنْتِ

اللَّيْلُ وَخَطِيئَةُ النَّسِيانِ
وَتَبْلِكُمْ اللِّسَانَ مِنْذُ آخِرِ لِقَاءِ

اللَّيْلُ وَقَافِيَةُ الدَّاكِرَةِ
يَصْحَبُهُ اسْمٌ غَرِيبٌ
مِنْ أَرْبَعَةِ حُرُوفٍ أَوْ خَمْسَةِ
أَوْ لَرَبِّمَا اسْمٌ بِلا حُرُوفٍ بِلا نَقْطِ
بِلا رُوحٍ وَحَيَاةِ
أَوْ لَرَبِّمَا اسْمٌ كَاسْمِكَ أَنْتِ

اللَّيْلُ وَحُرُوفٌ شَبَهَ نَائِمَةٍ
حُرُوفٌ تَكَرَّرَ النَّعَاسُ وَالسَّهْرُ
تَكَرَّرَ النَّوْمُ وَأَحْلَامٌ مَلِيئَةٌ بِالضُّجُرِ
تَكَرَّرَ اللَّيْلُ وَغِيَابُكَ أَنْتِ

حروفي يا صغيرتي لم أكتبها لك قطّ
بل كتبتها لخبيتي، لعزّلتني، لمسائني،
لقهوتي ولطفك أنتِ

الليل يا حبيبتي
وحروفٌ كثيرةٌ عن غيابك
وكأني أنتقمُ من خبيتي
بطريقتي الخاصّة.

شتات

أن أكتبَ لكِ أو أهربَ منكِ
كلاهما حلان دونَ إجابة
أو سؤالٌ دونَ صياغة
أو مثلاً حروفٍ دونَ نقط

أن أضحك الجميع وأنا أبكي
أن أساعد الجميع
وقلبي
يطلب النجدة

عفوًا أنا تعبتُ من التّفكير
أخبرني عنك أكثر

أنا ذلكَ الطّفل الغريق
الذي يطلبُ النّجدة
من المارّة

وهو في البحر غريق
وجميع المارّة لا يتقنون السّباحة

أولأؤبرك بوضوح أكأر
أنا تلك المياه
الآى أشفقت على الطفل
وتعبت
بينما هي كادت تقتله من دون قصد.

ذهبتُ إليكِ

ذهبتُ إليكِ

وقلبُ العاشقِ دليله

ابتغيتُ طريقي

ولاريبَ أنَّه لكِ السَّبيلُ

وفؤادي ينبضُ

وحلمي يعشق المستحيلَ

ذهبتُ إليكِ

وظلامُ العاشقِ مريرة

رأيتكِ بين نجومِ السَّماءِ

الكثيرة

أيةُ نجمةٍ أقطفُ لكِ سيديتي؟

اعذريني

فاحترتُ ما بين الكبيرة والصغيرة.

ماذا أخبرك الحنين

قالوا: ماذا أخبرك الحنين؟

عذراً

فكيف يخبرني الحنين

وهو أرقى الوحيد

كيف يحادثني

وأنا وهو عشاق

منذ زمن مديد

كيف يعانقني

وأنا صرتُ هشاً فارغاً

كمنزلٍ دون حديد

يا قمر الليل، يا صديقي القديم

إني مشتاقٌ

وفي شوقي لوعةٌ

وصراخٌ عنيف

بالله عليكم كيف تسألون عن حنيني

وأنا والحنين أصدقاء

في جسدٍ وحيد.

أنا واللأشياء

أنا من خشيتُ دومًا
الكتابة عن نفسي
لأنِّي في الحقيقة أخافُ
وصف وحدتي والعزلة
وذلك الهدوء المُخيف

أنا من خشيتُ دومًا
الكتابة عن نفسي
فكلّما حاولتُ،
أجدُ خيالًا قد هربَ مني
وكلّما شعرتُ بوحدة،
أجدُ نفسي فراغًا
لا جسد

أنا نافذة البيت التي تُقتلُ
بالبردُ وأهل البيت فرحين
صوّروا المشهد بفرحةٍ عارمة.

يا أهلاً بالمطر

أنا ذلك الطائر المنسيّ

من سكنَ في عشٍّ خفيّ

في منزلٍ شبه مخفيّ

أنا السَّقُوطُ بعد سباقِ طويل

أنا العناقُ بعد بكاءٍ شهيّ

أنا المهرِّجُ الحزين

من أسعدَ الجميع

ورفضَ هذا المطرَ السخيّ.

خواطرُ منسيّة

(1)

كَانَ يَجِبُ عَلَى آدَمَ أَنْ يَبْقَى أَعزَبًا
وَعَلَى حَوَّاءَ أَنْ تَبْقَى عَزْبَاءَ
كَانَ يَجِبُ مِنْعُهُمْ مِنْ خَلْقِ
هَذَا الْجِيلِ التَّائِهَةِ.

(2)

خَفَّفَ مِنْ رَوْعِكَ أَيُّهَا الْبَحْرُ
فَأَنْتَ فَقَدْتَ حَبِيبًا
وَأَنَا فَقَدْتُ أَصْدِقَاءَ
وَأَحِبَّةَ.

(3)

عندما دخل اللص لسرقة
ساعة جدي الثمينة
لوهلة خبأها في رواية
بدأت بكتابتها منذ زمنٍ طويل
ولحسن الحظ
بحث في كل مكان
إلا روايتي.

(4)

ومهرجٌ يحاول إضحاك الجميع
وبالسرّ يُخبرُ نفسه:
تمالكي نفسك أيتها الدموع،
فأنا المهرجٌ عندهم جميعاً
إذا كيف سأبكي الآن؟

(5)

كفلمِ أجنبيِّ مثلاً

مطرٌ وناي

ولقاءً ما بعد فراق

وأنتِ وأنا.

(6)

لامبالاة وشوق وحنين

وليلٌ مكتظٌّ بأهٍ وأنين

وغيابٌ عمرٍ وسنين

وأنتِ هنا ما بيني

وبين نفسي

فأينَ أذهبُ أنا

والى أين؟

بمحض الصّدفَة وبعد أوقات دراسة طويلة،
فتحت صندوقاً قديماً كنت أكتب عليه
مذكّرات قديمة "من أيّام مابديت كتابة"
وللصّدفَة وللصّدمة بذات الوقت، طلع بين أيديّ
ورقة قديمة كثير قاتلها الزّمن من العفن والتّعب
مكتوب عليها: اشتقتك!

ما بعرف احكي كثير عن نوعية الشعور يلي
صابني لحظتا بس بعدو لهلق ساكن ببالي
صوت هالشب الصغير "أنا" وعم أندّه لك:

عنجد اشتقتك.

...

(7)

تعلّمتنا الكذب منذ الصّغر
منذ أن كان يرُنُّ الهاتف الأرضي
ويخبرونا: من المتّصل؟
عذرًا
فأنا لستُ موجودًا في البيت.

(8)

إلى أهلها:
شكرًا على إنجاب بائعة ورود
هي من تصنعهُ برمشِ عينيها.

(9)

يقول:

جميعنا اعتدنا على حروفك

فلا تحاول كتابة خاطرة حزينة

وتنتظر من أحدهم عبارة:

"أنا معك"

(10)

انكسارٌ، فضمةٌ،

فسكون

نقلًا عن قواعد اللّغة العربيّة.

(11)

أنا جيد
لكني أستيقظ كل صباح
ولا أهتمُّ بشعري
أبحثُ عن علبة التدخين
ثمَّ أذكرُ أنني لا أشرب السجائر
أبحثُ عنك بين أوراق
وأقلامي وحروفي
فلا أجد إلا النقط
أبحثُ في صفحات التواصل الاجتماعيّ
ولكن تبّاً، ما الفائدة
من عناق الصّور؟

(12)

جمعني القدر بكاتبة
هي تكتبني وأنا أكتبها
وتغار حروف اللّغة.

اليوم

طفل صغير بعمر التسع سنين

عم يسأل: شو يعني كورونا؟!

-مرض فيروسي مُعدي

يعني ما بقدر صير؟

-شو بدك تصير؟

بدي إكبر وصير دكتور لذوي الاحتياجات الخاصة

بدي عالج أختي

أنا وعدتا ...

...

(13)

انتظاري لكِ مُملّ وقاتل
كانتظار أحدهم عودة أبيه من الحرب
وصورة الشهيد مُعلّقة على حائط المنزل
لكنّه على قناعة تامّة بقاء قريب مع أبيه
انتظاري لكِ مُملّ وقاتل يا صغيرتي
لكنني أحبّه.

(14)

بعد رحيلك
لم يهاجمني طيف غيابك
ولم تنفجر قنابل الوحدة في دموعي
كانت حياتي طبيعيّة روتينيّة في قمّة الاعتياديّة
اطمئن يا عزيزي
فأنت من رحلت
وأنت من خسرت
فوداعًا لكِ.

(15)

اشتقتُ إليك بصمت
حتى الأغاني صارت عنوة
تنده باسمك
تبا للأغاني وللنَّاي
ولصوتك.

(16)

أحتاج أن أركب بقطار الخيال
من هنا إلى النجوم
ومن النجوم إلى القمر
ومنه إليك أنتِ
وأن أسكنَ منكِ وفيكِ
ولا أخرج حتى في المنام.

(17)

محاولة نسيانك هي أصعب

من نسيانك بحد ذاته

كيف ذلك؟

أن أراك كشخص غريب أسهل

من تجنب رؤيتك

وأنا أحترق.

(18)

لا تنس أنك كنت سبب ابتسامة أحدهم

في الأمس

أليس هذا سببًا كافيًا لجعلك

تبتسم كل يوم؟

بهاالمسويات
وبهاالطقس المزعج
والخمول العنيف
كل التّوقعات ميل للنّوم
والتّعب

وحدك أنت
بصورك القمرية
وجمالك الغريب
ساويت من التّعب قوّة

يا أم العيون القويّة
وحدك أنت

...

(19)

خمس وعشرون ساعة
من سماع صوتها في اليوم الواحد
"هكذا وصف لي الطبيب"

(20)

تسع وتسعون قصيدة كتبتها عنك
وفي تمام المئة، تذكّرتُ غيابك
والجثة عبارة عن آلاف من القطع
الأوراق المتناثرة
تبّاً للقصائد يا صغيرتي.

(21)

رحلتِ ولا بأس في ذلك أبدًا
لكن ماذا عن قصائدي التي تسألني
عنك باستمرار؟
أين موطني
ماذا سأجيبها إذاً.

(22)

أين الشاعر الذي يمكنه أن يبهرني
كمثل الجمال الذي أبهرني
في عينيك البنية؟

(23)

أيُّها اللَّيْلُ!

اصرُخْ على ابني البعيد

وقلْ له: عُدْ،

فأبوكَ وحيد.

(24)

في الأَمْسِ

سَرَقْتُ مِنْكَ حَزْنَكَ

وَأَسَكَنْتُهُ مَعَ أَرْقِي

الْيَوْمِ أَتَسَاءَلُ

تَرَى هَلْ أَنَا سَارِقٌ مُحْتَرَقٌ

أَمْ مُحَضُّ ثَمَلٍ!

-مشتاق؟

-لا، ليش لإشتاق وأتعب شعوري ع شي ما بيرجع،

ما في فائدة للشوق يا صديقي، ما في أيّ فائدة.

-ما موضوع فائدة، بس كواجب بعد نهاية كل علاقة.

واجب نشتا، نعبر، نتذكر ونبكي

واجب لكل إنسان

-يعني مطلوب مني هلق ابكي مثلاً؟

-لا لا، غريب إنت ما عم تفهمني

أنا ما بدني ياك تحبس المشاعر جواتك وبلحظة تختنق،

فهمت عليي هلق؟

-صديقي، أنا من جوا قفص بدون باب

فكيف ممكن أحبس عصفور كبير مثل الشوق؟

أنا من جوا ولا شي، ولا أيّ شي

-بقدر أفهم أنك نسيتا ونسيت كل شي؟

-لا، كمان ما بهالسرعة بقدر إنسي

بس يمكن عم أتناسي

أو يمكن أنا بمكان بين الذكرى والنسيان

بين الشوق واللا شي

هلق فهمت عليي شو المشاعر يلي جواتي؟

...

(25)

"سعيدةٌ جداً"

خصلةُ الشعر التي تداعبُ وجهك
خمس مرات في الدّقيقة الواحدة.

(26)

وكذبتُ على منامي

وقلتُ لي: ها قد التقينا

كذبةٌ حزينة ومضحكة

كيوم أوّل نيسان.

(27)

طيفُ تلويحِكِ لم أره جيِّدًا
عندما افترقنا
حينها استهلكتُ حواسي كلّها
في كتابة رسالة الوداع
فقدتُ بصري
وأنا أبكي!

(28)

-إلى أين ذهب صوتي حين صرخت
من أعلى الجبل باسمك؟
-سرقهُ الصّدى
إليك.

(29)

لماذا يهطل المطر بكل هذه القوة؟

-لِيُخْفِي صَوْتَ صِرَاخِكَ.

"يَقُولُ أَحَدُهُمْ عَنِّي"

(30)

-كَيْفَ حَالُكَ؟

-أَحَاوَلْتُ دَائِمًا أَنْ أَبْقِيَ بِخَيْرٍ

وَأَنْتَ؟

-خَرَجْتُ لِلتَّوَمِنِ مَحَاوَلَةٌ فَاشِلَةٌ

لَأُخْبِرَ الْجَمِيعَ أَنِّي بِخَيْرٍ.

(31)

صوتُ صراخكم يا سادة
قد ملأ الكون
وكأنه حلقه من دعاة!

صوتُ الليل في أرقى
فاقَ حدود الصدى
ولم يسمعه أحد
وكأنه كذبٌ وسذاجة!

(32)

هوسي بكِ يؤرّقني
كتاجر يبيع الكتب
ولا يُجيد القراءة
كبائعٍ للورد
وليس له حبيبة.

(33)

خمسة عشر صديقًا رحلوا عني

وحبيبة واحدة

وفي هاتفي، خمس عشر أغنية

ومقطوعة موسيقية كاملة.

(34)

ما هي النهاية السعيدة؟

أنا وأنتِ كقدرٍ لا متناهٍ

بجانب الله.

(35)

أن أكتب لك قصيدة

ثم أمرقها

فقط لأنها ابتلت بالدموع

هل فهمت الآن كم أشتاق إليك.

(36)

اقتلهم بابتسامة

واحرقهم باللامبالاة

هكذا يزدهر نبض الحياة.

(37)

هذا اللّيل وحيد
يشكي وحدته لي
بينما أرتمي في أحضانه
وأبكي.

(38)

أنا
كسيناريو تلفزيوني
أودُّ كتابته،
أنتِ ضيف الشرف في كل مشهد.

(39)

إِنِّي أَعَارُ مِنْ أَحْلَامِي الَّتِي تَلْتَقِي بِكَ
لَا بِأَسْ، لَكِنْ لِمَ الظلم؟
إِنِّي أَسْتَحْقُكَ أَكْثَرَ.

(40)

عَنْ جَلْسَةِ حَوَارِيَّةٍ صَامِتَةٍ:
عَيْنَايَ تَغْمِزُكَ
وَعَيْنَاكَ تَخْجَلُ
فِيَنَادِي قَلْبِي: أَحْبَبْكَ!

(41)

حتى الطريق ضجر مئي وقال:

تبًا لك

لا أحد ينتظر هنا سواك.

(42)

ماذا لو كانت حياتنا مجرد حلم؟

ماذا لو كانت آلامنا مجرد كابوس ووهم؟

ماذا لو استيقظنا يومًا وسألنا؟

هل انتهت الحرب؟

فقالوا: يا أحمق

أية حرب؟

مشهد تلفزيوني

المدرسة الإعدادية 2014/9/2

الاجتماع الصباحي _ جميع الطلاب في صفوفهم يرددون النشيد الوطني وما بعده
التحية العربية الروتينية _ والسادة المدرسين والإداريين أمام الصف ككل ...

_توقفوا، من فضلك أيها المدير !

دعنا نقف دقيقة صمت _ دقيقة واحدة _ قبل أن ندخل إلى قاعتنا الدراسية

"يقولُ طالبٌ في الصف السابع (الأول الإعدادي) اسمه سائر"

هزَّ المدير رأسه إلى الأسفل (أي نعم) وعينه تكاد لا تصدق المشهد

انتهت الدّقيقة الأولى، الثانية، الثالثة

ادخلوا، ادخلوا إلى صفوفكم، هيّا

وأنت يا سائر تعال إليّ قليلاً؛ قال المدير.

أنا لم أجروُ على رفض طلبك لعدم جرح مشاعرك أمام زملائك الطلبة، لكن

أخبرني: ما سرُّ دقيقة الصمت هذه؟

ألنَّ الأمس كانت الذّكري السنويّة لاستشهاد والدك؟

أم لشهداء سوريا وفلسطين ككلّ أمّ بسبب تلك الأوبئة الصحيّة المنتشرة في

العالم!

وجّه سائر نظره إلى المدير وقال:

لا يا أستاذي، نحنُ فقط قرّنا بالاتفاق سويّاً أن نقف دقيقة صمت؛ فقط من

أجل تشييع ذلك النّقاء الذي كان في طفولتنا المسلوّبة.

(43)

لم أفهم بوضوح ما هي خطة الله في هذا العالم
لكن في جميع الأوقات التي كنت بها وحيداً
وجدته يربّت على كتفي ويعانقني
وأنا الذي لا يستحق.

(44)

وذنب الزهايمر أنه
لا يحتويك
فنسيت أن أنساك.

(45)

قالوا لك: أنت الأفضل

لا بأس أثبت لهم أنك الأفضل

اختلاف في حرف واحد

لا أكثر

لكنه سيخذلهم.

(46)

اليوم أنجبتُ جارتنا طفلة جميلة جدًا

وأطلقتُ عليها اسمًا كاسمكِ أنتِ

أمّا انا، فكلّما نادَتْ الجارة لابنتها

أجدُ قلبي يركضُ مُسبقًا صدى صوتها.

(47)

يحاربني كلّ شيء
لم أعد أعلم إن كنت إنساناً
أم صرتُ ساحة حرب.

(48)

هناك علماء في كلّ العلوم
وأنا وحدي عالمٌ بكِ سيّدي
اسمعي مثلاً:
رائحة أزهار الياسمين في رائحتنا
بالإضافة لحروف القصيدة
تساوي بحّة صوتك.

(49)

مُرْهَقٌ أَنَا

من صقيع الشتاء وزحمة البشر

من عجالات السفر وندى المطر

مُرْهَقٌ أَنَا من انتظار القدر

لا أعلم

فقط أَنَا مرهق!

لربّما من نفسي

من طولي وعرضي، من جسدي وحسدي

مُرْهَقٌ من كوني وكياني

من اللّيل

ووحدي

لا أعلم، فقط أَنَا مُرْهَقٌ.

(50)

اطمئن

فسيناريو حياتك في أيادي

ربانية أمينة.

(51)

هذا الصّباح أنظرُ لضحككِ وأفرح، ترى كيف لضحكة صغيرة أن

تضحّ هذا الكمّ الهائل من الياسمين!

أشعرُ بأنّ قلبي أصبحَ حديقة كاملة.

سؤالٌ غريبٌ يتصدّر ورقة الأسئلة لمادّة الفلسفة:

ما تعريفُ الغياب؟

احتجاجاتٌ كثيرةٌ من معظم الطلاب حول هذا السؤال، فاتّفقوا جميعًا حول جواب محدّد وكتبوه. إلّا أنا، بقيتُ مُصرًّا على وحدتي، فكتبتُ اسمك وخرجت.

من أنا؟

كان دخولي عالم الكتابة مُجازفة كبيرة، بحقي أوّلاً، وبحقّ مجتمعي الصّاحب بالأمّية وصراخ المستثقفين ثانياً وأخيراً وهو الأهم، بحقّ هؤلاء المثقفين الكبار الذي لا أظهر أمامهم سوى سُنبلٍ مرميّة في أرضٍ مهجورة.

لا أنفٍ أبداً أنّه كان يُخيّلُ إليّ أنّي هنا سأفشل، لابل في المحطة التّالية، ببطءٍ أرجوك أيّها السائق العصبيّ.

كن هوسي شديد الأرق، ولا أنسَ كيف كنتُ أصوّر الكتابة بذلك المجهول المُخيف، تُرى كيف كتبوا الشّعْر والنّثر والخواطر، أليستُ كذبة؟

تُرى كيف نشأت تلك الكتب المليئة بالقصائد؟ ألم تكن تُصدّر من السّماء ونزلت الأرض فوجدها أحدهم وصار شاعراً؟ كان عالم الكتابة مخيفاً جدّاً بالنّسبة لي، ومازال إلى يومنا هذا، في كلّ قصيدة نثرٍ أو خاطرة أكتبها، أعيدُ قراءتها عشرات المرّات وأتفحصها وأبقى خائفاً من شتيمة أحدهم أو نقدهم سلبيّاً كان أم إيجابيّ -ومن حقّهم النّقد طبعاً- وأبقى خائفاً.

مجموعة خواطر نثرية



لستُ وحيداً

فادي يوسف

| مجموعة خواطر نثرية

DESIGNED BY: GEORGE MIKHAEL

تدقيق لغوي: لينة فران
تصميم وتنسيق: جورج مخايل